

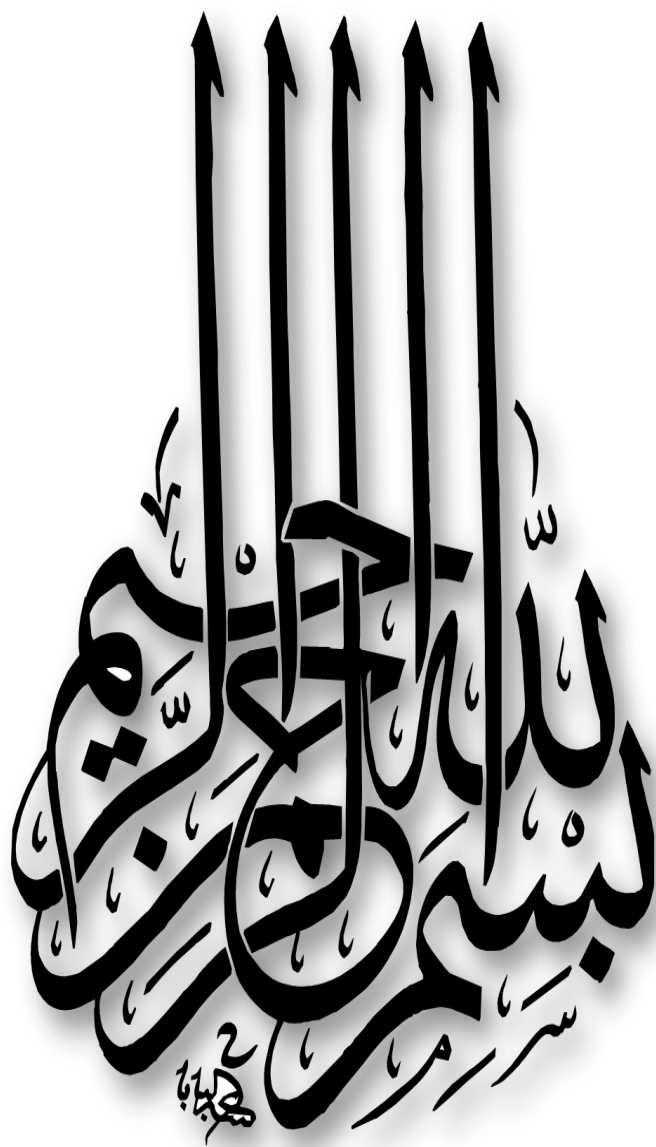
المؤتمر الدولي الثاني
لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات

**الدراسات البيئية ودورها
في تطوير برامج الدراسات العليا
بين الواقع والمأمول "ميدان الأدب واللغة أنموذجاً"**

إعداد

أ.د. خالد كمال الطاهر

أستاذ الأدب والنقد في جامعة الوصل في دبي
وجامعة الأزهر في القاهرة



الدراسات البينية ودورها في تطوير برامج الدراسات العليا

أ.د. خالد كمال الطاهر

أستاذ الأدب والنقد بكلية الآداب، بجامعة الوصل بدبي، (دولة الإمارات)

البريد الإلكتروني: khaledaltahr@yahoo.com

الملخص

أصبحت الدراسات البينية (Interdisciplinary Studies) توجُّهاً معرفياً وبحثياً حديثاً يهدف إلى كسر الحواجز بين التخصصات الأكاديمية المختلفة؛ لخلق رؤية متكاملة ومبتكرة في ميدان البحث العلمي عامة. وفي مجال اللغة العربية وآدابها خاصة، حيث تسهم الدراسات البينية بشكل فعال في تطوير أبحاث الدراسات العليا من خلال الجمع بين اللغة والأدب من جهة، وبينها وبين التخصصات المختلفة من جهة أخرى؛ إذ تتيح الدراسات البينية للباحثين في اللغة العربية وآدابها أن يفيّدوا من الأدوات والمفاهيم والمناهج المستمدة من التخصصات الأخرى؛ ما يفتح أمامهم آفاقاً رحبية لتطوير قدراتهم البحثية، ونتائجهم العلمية التي يستخلصونها من تلك الأبحاث، فضلاً عن تعميق صلاتهم بعلوم أخرى تصقل معارفهم، وتثري ثقافتهم وتكسبهم القدرة على التحليل المنهجي المبتكر للنصوص الأدبية، والظواهر اللغوية.

وانطلاقاً من تلك الرؤية، يهدف هذا البحث إلى إبراز الدور المتنامي للدراسات البينية في ميدان اللغة العربية وآدابها بوصفها أداة لتطوير منظومة البحث العلمي، وذلك من خلال بيان مفهوم الدراسات البينية، وأثرها على جودة وابتكار الدراسات العليا، وتصميم برامجها، وكيف تسهم الدراسات البينية في تجاوز حدود التخصص الواحد لتحقيق التكامل المعرفي وتطوير الدراسات العليا، وكذا بيان أبرز التحديات التي تواجه تفعيل منهجية الدراسات البينية في برامج التعليم العالي. وكيف السبيل إلى تخطيها؟

الكلمات المفتاحية: الدراسات البينية، العلوم الإنسانية، الدراسات العليا،

المنهج، التكامل المعرفي.

Interdisciplinary Studies and Their Role in Developing Graduate Programs

Prof. Dr. Khaled Kamal Al-Tahr

Professor of Literature and Criticism, College of Arts, Al Wasl

University, Dubai, (UAE)

Email: khaledaltahr@yahoo.com

Abstract:

Interdisciplinary studies have become a modern cognitive and research trend that aims to break down barriers between different academic disciplines, creating an integrated and innovative vision in the field of scientific research in general, and in the field of Arabic language and literature in particular. Interdisciplinary studies contribute effectively to the development of graduate research by combining language and literature on the one hand, And between them and the different specializations on the other hand, as interdisciplinary studies allow researchers in the Arabic language and literature to benefit from the tools, concepts and methods derived from other specializations, which opens up broad horizons for them to develop their research capabilities and the In addition to scientific results they extract from that research. deepening their connections with other sciences, this will refine their knowledge, enrich their culture, and provide them with the ability to undertake innovative, systematic analysis of literary texts and linguistic phenomena.

Based on this vision, this research aims to highlight the growing role of interdisciplinary studies in the field of Arabic language and literature as a tool for developing the scientific research system, by explaining the concept of interdisciplinary studies, their impact on the quality and innovation of postgraduate studies, and the design How do interdisciplinary studies contribute to of their programs. transcending the boundaries of a single discipline to achieve cognitive integration and advance graduate studies? It also highlights the most prominent challenges facing the implementation of interdisciplinary approaches in higher education programs and how to overcome them.

Keywords: interdisciplinary studies, humanities, graduate studies, methodology, cognitive integration.

مقدمة

لا شك أن البحث العلمي في ميدان اللغة العربية وآدابها يجابه عدة تحديات تحول دون انطلاقه إلى فضاء الابتكار والجدة، ومواكبه التطورات المعرفية والبحثية في عصر الانفجار المعرفي الهائل، والتقدم التكنولوجي المذهل، والتطور التقني المتسارع. فلا تزال ساحة الدراسات العليا تشهد صراعا بين تخصصات الأدب القديم والأدب الحديث، وبين النحو القديم، واللسانيات الحديثة على مستوى الموضوعات، والإشراف، والمناقشات العلمية، على الرغم من انتمائها إلى فن واحد، فما بالك بتلاقي تلك الفنون مع فنون أخرى مغايرة.

وقد نتج هذا الصراع عن الفواصل العازلة بين أبناء التخصص الواحد؛ فالمتخصص في النحو والصرف لا علاقه له عميقة بالأدب واتجاهاته، والمتخصص في الشعر لا علاقه له بالقصة والرواية، والمتخصص في الأدب القديم لا علاقه له بالأدب الحديث، ولعل تصنيف أقسام اللغة العربية وآدابها بحسب تخصصات الأساتذة الدقيقة دليل قاطع على تلك العزلة المعرفية في حقل واحد.

أدت هذه العزلة إلى تشابه البحوث العلمية المنتجة في هذه الميادين، وليت الأمر يقف عن التشابه فقط، فكثير من هذه الأبحاث العلمية ذات عناوين متشابهة، ومتون متشابهة، ونتائج متشابهة لدرجة أننا إذا بدلنا مكان مدونة أخرى لن نرى أي تغير في البحوث العلمية المقدمة. ولا أكون مبالغا إذا قلت: إن هذه العزلة المعرفية هي السبب الأساس في عقم أغلب الدراسات المقدمة إلى أقسام اللغة العربية في عالمنا العربي.

هذا العقم المعرفية، انتبه إليه علماء وباحثون في العقد الأخير من القرن العشرين تقريباً ودعوا إلى ضرورة انفتاح الحقول المعرفية على بعضها البعض وتفاعلها بحسب ما تقتضيه الحاجة المعرفية انطلاقاً من أن المعرفة الإنسانية كل مترابط.

وقد فتحت هذه الدعوة المجال واسعاً أمام تداخل العلوم الذي انعكست آثاره على نتائج البحث العلمي، وأدى ذلك إلى ظهور علوم جديدة نتيجة التلاقح المعرفي سواء في العلوم الإنسانية أو العلوم البحتة وهي دعوه عرفت بالدراسات البينية.

وسرعان ما أصبحت الدراسات البينية (Interdisciplinary Studies) بادرة مميزة في مسيرة التفاعل العلمي والثقافي مع الآخر، وتوجّهًا معرفيًا وبحثيًا حديثًا يهدف إلى كسر الحواجز بين التخصصات الأكاديمية المختلفة؛ لخلق رؤية متكاملة ومبتكرة في ميدان البحث العلمي عامة. وفي مجال اللغة العربية وآدابها خاصة، حيث تسهم الدراسات البينية بشكل فعال في تطوير أبحاث الدراسات العليا من خلال الجمع بين اللغة والأدب من جهة، وبينها وبين التخصصات المختلفة من جهة أخرى؛ إذ تتيح الدراسات البينية للباحثين في اللغة العربية وآدابها أن يفيدوا من الأدوات والمفاهيم والمناهج المستمدة من التخصصات الأخرى؛ ما يفتح أمامهم آفاقاً رحبة لتطوير قدراتهم البحثية، ونتائجهم العلمية التي يستخلصونها من تلك الأبحاث، فضلاً عن تعميق صلاتهم بعلوم أخرى تصقل معارفهم، وتثري ثقافتهم وتكسبهم القدرة على التحليل المنهجي المبتكر للنصوص الأدبية، والظواهر اللغوية.

من هنا، أضحت الدراسات البينية في عدد من المؤسسات التعليمية عروة وثقى تربط أقسام كلية أو جامعة ما، وتصل بين علوم ومناهج ومصطلحات، بل هي قبل ذلك "حاجة حضارية كبرى لإعادة النظر في مسيرة البناء الأكاديمي ككل. إعادة النظر أو المسائلة هذه مهمة نهض بجانب كبير منها مفكرون وأكاديميون فيما بات يعرف بالعالم الثالث"^(١).

(١) الدراسات البينية وتحديات الابتكار. سعد عبد الرحمن البازعي، مجلة جامعة الملك سعود، م ٢٥، الآداب (٢)، الرياض (٢٠١٣ م / ١٤٣٤ هـ). ص ٢٢٦.

وانطلاقاً من تلك الرؤية، يهدف هذا البحث -وفق منهج وصفي تحليلي- إلى إبراز الدور المتنامي للدراسات البينية في ميدان اللغة العربية وآدابها بوصفها أداة لتطوير منظومة البحث العلمي، وذلك من خلال الإجابة عن الإشكالات الآتية:

- ما مفهوم الدراسات البينية؟ وكيف تختلف عن الدراسات التقليدية، والدراسات المتعددة التخصصات؟
 - ما أثر الدراسات البينية على جودة وابتكار الدراسات العليا، وتصميم برامجها؟
 - كيف تسهم الدراسات البينية في تجاوز حدود التخصص الواحد لتحقيق التكامل المعرفي وتطوير الدراسات العليا؟
 - ما أبرز التحديات التي تواجه تفعيل منهجية الدراسات البينية في برامج التعليم العالي؟ وكيف السبيل إلى تخطيها؟
- بين الدراسات البينية والدراسات المتعددة.

ميز عدد من الباحثين بين مصطلح التخصص البيني (interdisciplinary) والتخصص المتعدد (multidisciplinary)، إذ يمثل الأخير المستوى الأول من التقاء التخصصات العلمية، حين تقتضي دراسة إشكالية في مجال ما استعارة مجموعة من المعلومات من علوم أخرى دون أن تؤدي هذه الاستعارة إلى تغيير التخصصات المستعار منها، أو إثرائها، فهي جمع وتبادل للمعلومات دون تفاعل حقيقي. فقد تجتمع التخصصات وتتعاون في تنفيذ عمل مشترك دون أن يضطر أي تخصص منها إلى تغيير رؤيته أو مناهجه البحثية^(١).

أما التخصصية البينية فتتمثل "المستوى الثاني. ومدار العمل فيها على الارتقاء من مجرد الجمع وتنضيد الرؤى البحثية المتنوعة والتعاون على كشف

١ Delattre, Pierre (١٩٩٥), «Recherches interdisciplinaires», in: Encyclopédia Univesalis, vol.v, ١٩٩٥, p ٤٣٣ - ٤٣٨.

جوانب مختلفة من الموضوع نفسه إلى التفاعل الحقيقي والتبادل الفعّال وتأثير التخصصات بعضها في بعض بل الاندماج أحياناً^(١) وفي هذا الإطار فإن المسار البيئي للتخصصات، من حيث الكفاءات والمعارف، له مستويات متنوعة من التفاعل، فقد يتعلّق بعمليات نقل أو استعارة مفاهيم أو طرائق من حقل علمي إلى آخر، أو تهجين أو تقاطع بين التخصصات، بل إنشاء حقول بحثية جديدة من خلال المزاجية بين تخصصين أو أكثر^(٢).

يفهم من ذلك أنه في الوقت الذي تعد فيه العلوم المتخصصة علوماً منفصلة ذات كيان مستقل قائم على أسس ومبادئ ومعايير ومناهج وإجراءات تميز كل علم عن الآخر فإن الدراسات البيئية تجمع بين أكثر من تخصص واحد في دراسة ظاهرة ما، أو معالجة قضية معينة، حيث يأخذ هذا الاجتماع صورتين مختلفتين، أولها- ما تسمى (متعددة التخصصات)، حيث تقوم الدراسة على الدمج بين تخصصين أو أكثر، مع بقاء كل تخصص منهما منفصلاً عن الآخر ومحفوظاً بكيانه المستقل. وأما ثانيهما - "فيتمثل في البحوث التي تجمع بين نطاقين تخصصين، يتجاوز كل منهما مجاله التخصصي المنفرد، من خلال تأسيس أرضية مشتركة، يتم فيها التعامل مع الظاهرة المدروسة بطريقة متصلة بين هذين التخصصين وبطرائق، وتقنيات، ولغة مفهومة لبعضهم بعضاً في ضوء إطار بحثي شمولي وثابت نسبياً، لحل المشكلات ودراسة الظواهر المختلفة"^(٣).

(١) دليل الدراسات البيئية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات، نور الدين بنخود، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية، ص ١٢.

٢ Delattre, Pierre, p ٤٣٣ - ٤٣٨.

(٣) الدراسات المستقبلية: مفاهيم- اساليب- تطبيقات. زاهر، ضياء الدين، تقديم: السيد يسين، القاهرة: مركز الكتاب للنشر ٢٠٠٤، ص ٢٠٩.

بين العلوم الإنسانية والعلوم البحتة:

قد يتوهم البعض أن قياس مفهوم التخصصية في العلوم الإنسانية على معهودها في العلوم البحتة من طب وفيزياء وكيمياء ونحوها قياس صحيح يكسب الدراسات الإنسانية نوعاً من المنهجية والانضباط الذي تستحقه. وما دام الإيغال في التخصصية أضحى سمة علوم البحتة، فكذا يجب أن تكون سمة العلوم الإنسانية. والحقيقة أنه قياس مع الفارق، وليست مجافياً للواقع إن قلت: إنه قياس فاسد.

صحيح أن هناك من العلوم الإنسانية (لا سيما اللغوية والأدبية) ما يسعى جاهداً كي يصل إلى أقصى درجات الجدية والحدية والدقة التي تتسم بها المناهج في العلوم البحتة، وأخذ بعضها يطور في مناهجها البحثية أكثر من ذي قبل، ويخضع نتائجها لمعايير أشد صرامة من التقييم، كما هو الحال في مجال تحقيق النصوص التراثية، وما بذله علماء الحديث النبوي الشريف من ضبط وتوثيق وتمحيص لا يترك مجالاً للتخمين أو الشك، لكن مع هذا تظل العلوم الإنسانية وخاصة الأدب تتعلق دراساتها بالنفس الإنسانية وبالأفعال البشرية وبمحيطها الاجتماعي، ودواخلها العميقة وأبعادها الفكرية المعقدة التي لا يمكن أن يفسرها منهج فرد، كما لا يمكن لأداة بحثية تأطيرها بحدود جازمة، أو إخضاعها لمعايير حاسمة؛ ما يسلمنا في النهاية إلى القول بأن من خصوصية الدراسات الإنسانية إمكانية دراسة منتجها الإبداعي والفكري بأكثر من منهج، في ظل الدراسات البينية.

وقد أكد الدكتور محمد حسن عصفور هذا المعنى مبيناً أثر العقلية الواعية والمعارف الشاملة والدراسات البينية في مدى الاستفادة بنتائج البحث العلمي الإنساني فيقول: "إن مناهج العلوم الإنسانية تسير على مقياس يقترب من العلوم البحتة من أحد طرفيه ومن الفنون من طرفه الآخر. والنقد الأدبي مثال على ذلك. فهناك عدد كبير من نقاد الأدب الذين يشتغلون في هذا الحقل بعقلية الباحث الموضوعي كما تدل آلاف أطروحات الدكتوراه التي تجيزها الجامعات في

العالم. ولكن الغالبية العظمى من هذه الأطروحات يتجمّع فوقها الغبار على رفوف المكتبات الجامعية؛ لأنها لا تزيد عن كونها تمرينات في البحث العلمي. أما النقاد المهمّون فعلاً فقد ظلّوا على الدوام من أولئك الذين يتحدثون حديثاً له وزنه الذي يكتسبونه، لا من الحواشي والتوثيقات والقوائم الطويلة من المصادر والمراجع أو المنهجيّات، بل مما لديهم من عقول تتّصف بالشمول وعمق البصيرة^(١).

وفي إطار تلك الشمولية والنظرة العميقة للدراسات الأدبية والنقدية الجادة يجب "علينا ألا ننسى أيضاً أن الدراسات الأدبية أخذت تستفيد على نحو متزايد من مناهج العلوم المجاورة ونتائجها. فمن التاريخ تعلّمت الدراسات الأدبية ربط المؤلّف وعمله بالخلفية التاريخية التي حدّدت أفكاره وشكّلت مشاعره. ولجأت هذه الدراسات إلى علم النفس لفهم المؤلّف أحياناً وفهم الشخصيّات التي ابتدعها. ومن علم الاجتماع استعارت وسائل لدراسة الذائقة العامة للقراء وفهم الظروف الاجتماعية التي عاش فيها المؤلّف وعلى نوع الأدب الذي ينتجه الأدباء والكتابات التي تنتشر بين القراء وأسباب هذا الانتشار. ومن علم الاقتصاد أخذت تستعير أفكاراً تفسّر بواسطتها الأثر الذي تتركه الظروف الاقتصادية على الكاتب والكتب وعلى إنتاجها وتسويقها. ومن السياسة تعلّمت كيف أن الأدب لا يخلو من التوجّهات السياسية مهما حاول الكاتب إخفاءها؛ لأن الكاتب بطبيعته مخلوق سياسي، ولا يستطيع الانفكاك من السياسة حتى لو أراد. معنى هذا أن الأدب ظاهرة يبلغ من تعقيدها أن إمكانياتها لا يمكن الإحاطة بها بأيّ منهج بمفرده"^(٢) ولم يكن النقاد المحدثون بدعا في الإفادة بكل ما أحاط بهم من علوم ومعارف وتوظيفها في دراساتهم، فنحن نلاحظ استعارة علماء العرب الأوائل

(١) التخصصات البينية والتخصصية في العلوم الإنسانية، د. محمد حسن عصفور، مجلة جامعة الملك سعود، م ٢٥ ، الآداب (٢)، الرياض، ٢٠١٣ م / ١٤٣٤ هـ، ص ٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) السابق ٢٣٨.

الكثير من المصطلحات العلمية المجاورة في مجال الأدب والنقد، فكان هناك (عيار الشعر)، وهناك (الميزان) الصرفي، و(العروض)، و(الصناعتين)... إلخ.

مكانة الدراسات البينية في تاريخ العلوم:

تعد الدراسات البينية مرحلة من مراحل التطور العلمي تسبقها مرحلتا الموسوعية، ثم التخصصية. فقد شهد تاريخ العلم في الحضارة العربية والإسلامية منذ القرن الرابع الهجري وإلى عدة قرون تالية عددا من العلماء الأعلام الموسوعيين الذين جمعوا بين معارف شتى، وأنتجوا كتباً ورسائل في تلك المجالات المتنوعة، كالخوارزمي والرازي، وابن طفيل وابن رشد، وقد أعطى ابن خلدون، من علماء القرن الثامن الهجري، أمثلة حديثة ونماذج حية على تلك الموسوعية في العلوم والمعارف تعليماً وتعلُّماً، فيقول عن حدّ الأدب عند علماء عصره: "الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية .. إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كفهم بصناعة البديع من التورية في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية، فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ إلى معرفة اصطلاحات العلوم، ليكون قائماً على فهمها"^(١).

ومنذ قرن ونصف تقريباً بدأت هذه النزعة الموسوعية في التحول إلى التخصصية شيئاً فشيئاً، فكانت التخصصية ثمرة طبيعية لتطور العلوم من حيث النظريات والمناهج والأساليب البحثية وما تقدمه من نتائج.

وفي الحضارة الغربية أثبت تطور الحياة الإنسانية، وتعقيداتها التي واكبت مسيرتها الحضارية عجز الفلسفة (أم العلوم) عن حل جل المشكلات التي تواجه الإنسان بعدما كانت المرجع الأهم في دراسة القضايا المتعلقة بالوجود والحياة

(١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ضبط: خليل شحادة، ومراجعة سهل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص ٧٦٣.

والإنسان، والقيم والمعارف ونحوها. ما حدا بالإنسان أن يبحث عن سبل مختلفة وطرائق مختلفة لحل مشكلاته اليومية فكان عصر العلوم المستقلة والتخصصات المتنوعة، التي رسم معلمها علماء مختصون بداية من تحرير مصطلحات تلك العلوم، إلى ضبط نظرياتها، وتحديد آلياتها، وتنسيق تقنياتها.

"وعلى الرغم من أهمية العلوم المتخصصة في تنمية الفكر الإنساني، ومساعدته في حل المشكلات، إلا أن رسم حدود التخصصات والمبالغة فيها كان لها انعكاسات سلبية على تفكير الإنسان، وتوجيه قدراته العقلية، وتركيزها في مجال محدد، يجعله مغلقاً على نفسه في دائرة بحثية ضيقة ومنعزلة، تسببت في فقدانه سمات العلم وخصائصه المتمثلة في الشمول، والانفتاح، والتواصل في علاقاته ومجالاته البحثية المشتركة مع التخصصات الأخرى"^(١)، كما "أن التخصص بمعناه الضيق يضع المتخصص في دائرة مغلقة بحيث لا يرى الدوائر الأخرى التي تحيط به ولا يكثر لها رغم أنها تؤثر في صميم عمله"^(٢) لا سيما في العلوم النظرية، وفي مقدمتها علوم اللغة والأدب.

وقد دعم التوجه إلى الدراسات البينية ما فرضته الثورة المعلوماتية على العالم المعاصر من متغيرات وتوجهات عدة، تتطلب إحداث نوع من المزج والتكامل بين التخصصات؛ لوضع المعلومات في سياقها، وربطها في نظام شامل، هو ما يُطلق عليه تداخل التخصصات أو الدراسات البينية. "Interdisciplinary"، مع التأكيد على الاعتراف بقيمة الدراسات التخصصية العميقة إذا دعت الحاجة إليها، ولعل من أحكم ما قيل في ضبط العلاقة بين التخصص والبيني من الدراسات قول الباحث الألماني (إرنست روبرت

(١) اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو الدراسات البينية في كلية التربية بجامعة السلطان قابوس. وجيه ثابت العاني، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس، ص ٥٤.

(٢) التخصصات البينية والتخصصية في العلوم الإنسانية، د. محمد حسن عصفور، ص ٢٣٢.

كيرتيوس): "التخصص دون رؤية شمولية أعمى، والرؤية الشمولية دون تخصص جوفاء"^(١).

من سمات الدراسات البينية:

- تتيح الدراسات البينية الفرصة للباحثين للإفادة من مناهج ونظريات التخصصات الأخرى لا سيما القريبة من التخصص الرئيس للباحث.
- تعزيز التكامل بين اللغة العربية والتخصصات الأخرى. إذ تتيح الدراسات البينية للباحث الاستفادة من الأدوات والمفاهيم المستمدة من تخصصات أخرى، مما يفتح آفاقاً جديدة لتطوير الأبحاث. ومن أبرز التخصصات التي يمكن أن تتكامل مع اللغة العربية علم الاجتماع، وعلم النفس، والتاريخ والعلوم السياسية، والتطبيقات التكنولوجية.
- تسهم في تطوير مناهج تحليل النصوص من خلال توظيف مناهج تحليل جديدة وفعّالة تساعد على إغناء أبحاث الدراسات العليا في اللغة العربية، مثل: السيميائيات، واللسانيات التطبيقية، والنقد الثقافي؛ ذلك أن بينية التخصص يتولد عنها تعددية المنهج في معالجة قضية ما أو ظاهرة معينة، فإن "النقيد بمنهج واحد أو نظام مفهومي مخصّوص وهم لا يملك أيّ باحث ادعاءه؛ إذ المعرفة النقدية، كما رأينا، في تحول مستمر. لذا، فالتعويل على منهج بعينه انكفاء وحجب للأشياء وإجهاز على ثقافة الاختلاف والتفاعل. وعليه، فإن أقوم سبيل هو الانفتاح على مناهج متعددة واتخاذها علامات طريق"^(٢).

(١) ينظر: الدراسات البينية وتحديات الابتكار، ص ٢٢١.

(٢) العلوم الإنسانية واجتياز الحدود: قراءة في خطاب المفاهيم، عبد الغني بارة، مجلة جامعة الملك سعود، م ٢٥، الآداب (٢)، الرياض، ٢٠١٣ م / ١٤٣٤ هـ، ص ٢٦٠.

- تعزز الإبداع والابتكار في الأبحاث، بما تفتح من أبواب الإبداع في إعادة قراءة النصوص التراثية باستخدام مفاهيم فلسفية، واجتماعية، أو نفسية، وتطوير تطبيقات تكنولوجية، فضلا عن أبحاث الأدب المقارن.
- تربط الدراسات البينية الأبحاث الأكاديمية في اللغة العربية وآدابها بالواقع الثقافي، والقضايا المجتمعية. مثال ذلك: استخدام الأدوات اللغوية لتحليل وسائل الإعلام والخطاب السياسي باللغة، وتطوير أساليب تعليم اللغة العربية للناطقين وغير الناطقين بها.
- إثراء الدراسات النقدية والأدبية من خلال توسيع آفاق التحليل النقدي اعتمادا على مناهج نقدية مختلفة كالنقد النفسي، والنقد البيئي، والنقد الرقمي.
- كما تعمل الدراسات البينية على إلغاء الحدود والفواصل الفكرية والمعرفية بين التخصصات، مع احترام طبيعة كل تخصص، والاعتراف بكفاءته.
- تتميز بالجدة والدقة والشمول ونتائجها تطبيقية، كما تسمح بفرص لإبداع نظريات جديدة^(١).

بواعث العناية بالدراسات البينية:

- علاوة على ما سبق فقد عزز التوجه نحو التخصصية البينية والعناية بالدراسات القائمة عليها عوامل أخرى، منها:
- الخوف من الإيغال في النزعة التخصصية والمبالغة فيها نتيجة لما أدى إليه التعمق في النظر والبحث في بعض الظواهر المعرفية من عزل بعض الظواهر عن بعض، وتقسيمها وتفريغها، فإذا بالتخصص يصير تخصصات لا تلبث أن تنزع إلى الاستقلال في لغتها ومنظومتها الاصطلاحية والمنهجية حتى تنفصل تماما عن التخصصات المجاورة لها. ومن ثم ينشغل كل متخصصين

(١) ينظر: معوقات تفعيل الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية. محمد سيد بيومي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، ص ١٣٣.

بجزئياتهم دون الاطلاع على ما يجري في مجالات بحثية أخرى ذات صلة بتخصصهم، وهو ما يؤثر على النتائج المرجوة لا سيما إن كانت تتصل بعلوم ذات قاعدة إنسانية عامة.

- كما أن الحركة الداخلية في مسار المعرفة العلمية كانت دافعا إلى دعم التخصصية البينية؛ حيث نشأت تخصصات مختلطة قائمة في منطقة وسطى بين تخصصين أو أكثر، ودراسة لظواهر كانت في حاجة إلى آليات وصف وطرائق بحث أكثر تركيبا. ونماذج ذلك كثيرة في العلوم الطبيعية والإنسانية. مثل علم النفس الاجتماعي واللسانيات النفسية، أو العلوم الاجتماعية والنصوص الأدبية.^١

- فضلا عن تراكم الإنتاج العلمي في بعض العلوم، واتساع المعرفة واتجاهها إلى التعمق في الموضوعات المدروسة وتطور التفكير في المناهج المناسبة، بالإضافة إلى تطور المؤسسات التعليمية والبحثية في الجامعات الحديثة، وازدياد الحاجة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية إلى نتائج العلم وتطبيقاته^(٢)، حيث أدى تشابك العلوم وتنامي المعرفة ووحدتها إلى تنامي التوجهات نحو الدراسات والبحوث البينية التي تتداخل فيها التخصصات؛ بهدف توظيف المعلومات في سياقها وفق منظور يتشابك فيه الاقتصادي بالنفسي بالاجتماعي بالإنساني؛ لفهم الواقع، وبناء المعاني ضمن إطار أشمل وأوسع.

عناية الجامعات والمؤسسات العلمية بالدراسات البينية

"اتسع الوعي البيني في العقود الأخيرة. وترجم عنه تعدد في الهياكل والمؤسسات البحثية الجامعية وغير الجامعية القائمة على تعاضد التخصصات.

(١) ينظر: دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات، نور الدين بنخود، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية، ص ٧، ٨.

(٢) السابق، ص ١٢.

وترجم عنه أيضا تزايد في عدد المؤتمرات والمؤلفات الجماعية والفردية والأعداد الخاصة من المجلات العلمية.^١

فقد اتجهت بعض الجامعات العربية -اقتفاء لأثر سابقته من الجامعات الغربية- في سعيها لكي تكون جامعات بحثية معتمدة إلى إعادة هيكلة برامجها في مرحلة الدراسات العليا، وذلك بتوجيهها نحو الدراسات البينية أملاً في توسيع دائرة البحث العلمي والمنهجي بين التخصصات، المجاورة أو البعيدة، مع المحافظة على الحدود التخصصية والضوابط العلمية والمعرفية التي تبنى عليها تلك العلوم المتخصصة، والتأكيد على أن "التخصص البيني لا يعني محو هوية التخصص المنفرد، بل يحاول أن يجد أطراً علمية تساعد على إيجاد قنوات يتواصل من خلالها مع التخصصات والمعارف الأخرى التي تبعث فيه الحيوية والنشاط، والنمو المستمر، بعيداً عن الإطار البحثي الضيق التقليدي المتفوق، الذي يحوم حول نفسه في دائرة بحثية مغلقة".^٢

ومن دلائل العناية بالدراسات البينية في الجامعات العربية عقد المؤتمرات والندوات الدولية التي تعنى بالدراسات البينية في العلوم الإنسانية عامة وفي علوم اللغة وآدابها خاصة، ومن نماذج تلك المؤتمرات في السنوات العشر الماضية:

— مؤتمر (اللغة العربية والدراسات البينية الآفاق المعرفية والرهانات المجتمعية) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، مركز المؤتمرات — ١٤٣٦/٧/٩ هـ الموافق ٢٠١٥/٤/٢٨ م

(١) دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات، ص ١١.

(٢) اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو الدراسات البينية في كلية التربية بجامعة السلطان قابوس. ص ٥٥، ٥٦.

- مؤتمر الدولي (العلاقات البينية بين العلوم الاجتماعية والعلوم الأخرى: تجارب وتطلعات) تنظيم سلطنة عمان، مسقط، جامعة السلطان قابوس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ١٥ — ١٧ ديسمبر ٢٠١٥ م.
- مؤتمر الدولي (مستقبل الدراسات البينية في العلوم الإنسانية) تنظيم جمهورية مصر العربية، جامعة حلوان، كلية الآداب موعد المؤتمر في ١٥ - ١٦ مارس ٢٠١٦.
- المؤتمر الدولي التاسع (الدراسات البينية في العلوم العربية والإسلامية في ضوء التسارع التكنولوجي والمعرفي)، جمهورية مصر العربية، جامعة المنيا، كلية العلوم موعد المؤتمر ٢٤ — ٢٦ مارس ٢٠١٩ .
- المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية وآدابها في جامعة الوصل بدبي تحت عنوان (المعجمية العربية والدراسات البينية) يوم ١٨ / ١١ / ٢٠٢٤ م
- المؤتمر السنوي الثالث (الأبحاث البينية في العلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعات العربية: الواقع والتحديات)، ينظمه مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الدوحة، قطر ٣٠-٠٤-٢٠٢٥.
- الندوة الدولية بعنوان (الدراسات البينية في اللغة والأدب والتربية) جامعة القاضي عياض، مراكش المغرب، ٢٠٢٥-١٠-١٦ الى ٢٠٢٥-١٠-١٦.
- ومن أهم دلائل أهمية التوجه إلى التخصصات البينية في مجالات البحث العلمي هو تشجع الدراسات البينية على إقامة مشاريع بحثية تعالج قضايا كبرى تمثل حالة التلاقي والتكامل بل التفاعل بين التخصصات المختلفة بحيث يمكن معالجة القضية أو فهم الظاهرة بأكثر من طريقة وبأبعاد مختلفة على الصعيد الإبداعي والإنساني والاجتماعي والنفسي، والتقني ... إلخ.
- في الدليل الذي أنشأه الدكتور نور الدين بنخود حول الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب عرض عددا هائلا من الدراسات المهمة التي تشهد مدى العناية بهذا الاتجاه البيني، علماً بأن قد اقتصر على إيراد الكتب الفردية والجماعية دون الدراسات المنشورة في الدوريات الجامعية وغير الجامعية

والرسائل الجامعية غير المنشورة والترجمات، على ما في الكثير منها من قيمة علمية لا تتكرر.

فسرد بيانات كاملة لدراسات في الأدب والعلوم الاجتماعية، وفي الدراسات اللغوية والعلوم الاجتماعية، والأدب وعلم النفس، وفي الدراسات الأدبية وعلم النفس والعرفانية، والدراسات النسوية والعلوم اللغوية والأدبية والإنسانية، وفي الدراسات اللغوية وعلوم التاريخ والآثار، في علوم الأدب والتاريخ، والتفاعل بين علوم القرآن والدراسات القرآنية والفقهية واللغوية والبلاغية والأسلوبية والتداولية، الدراسات اللغوية والأدبية التداولية وتيارات تحليل الخطاب، وعلوم الإعلام والعلوم اللغوية والأدبية والإنسانية، الدراسات اللغوية والأدبية والفكرية والعالم الإلكتروني والشبكي، في علاقة الدراسات القانونية بالعلوم اللغوية والإنسانية.

ومن المناسب هنا أن أشير إلى أن عمل الدراسات البيئية لن ينشأ أبدًا نتيجة لفرض موقف، فإن الانزياحات والتعاون ضروريان للنجاح في هذا النوع من الشراكة، ويجب أن يكون ذلك عبر الاقتناع بجودتها وفوائدها لخلق سياقات أكاديمية تعزز قيمتها وتعترف بها، ويجب تشجيع هذا النوع من المجموعات، ومن الواضح أن ليس كل الأفراد وليس كل المشاكل تؤدي إلى الدراسات البيئية^(١).

دور الدراسات البيئية في تطوير أبحاث الدراسات العليا في مجال اللغة العربية وآدابها:

الدراسات البيئية تمثل توجّهًا حديثًا يهدف إلى كسر الحواجز بين التخصصات الأكاديمية المختلفة لخلق رؤية متكاملة ومبتكرة في البحث العلمي. وفي مجال اللغة العربية وآدابها، تساهم الدراسات البيئية بشكل فعال في تطوير

(١) ينظر: تأملات في مميزات الدراسات البيئية ومقترحات لتشجيعها في التعليم الأكاديمي، رافائيل بيريث إي بيريث، ترجمة: سهام صائب، ٢٠٢٠م ص ١٠.

أبحاث الدراسات العليا من خلال الجمع بين اللغة والأدب والتخصصات الأخرى لتحليل النصوص، وفهم الظواهر اللغوية، وتقديم رؤى جديدة. وقد "رفعت اللسانيات لواء هذا التداخل عندما انفتحت على العلوم الأخرى للإعطاء تفسير مغاير لعلاقة اللغة بالمجتمع وبالنفس البشرية وغيرها. فظهرت اتجاهات لسانية مختلفة كاللسانيات الاجتماعية وعلم اللغة النفسي، والتقت بفلسفة اللغة والوضعية المنطقية التي كانت الوجه الآخر للبنىوية اللسانية وهي تجترح مقولة البنية الأساسية من الفلسفة، وتجعل منها مفهوماً متعدداً تتجاوز به الحيادية، وتقتحم مجال الرياضيات وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والتاريخ وغيرها، فبدأت هذه المقولة كأنها جاءت لتحلّ إشكالا منهجيا سرعان ما فسح المجال لعدد المفاهيم بمبادلات سياقية"^(١).

التحديات التي تواجه الدراسات البينية:

لا شك أن المطلع على الإنتاج العلمي والثقافي في بيئتنا العربية يجد عددا من الدراسات البينية حاول كاتبوها المزج بين عدد من المناهج، أو استيراد عدد من المعارف تعكس مدى التداخل بين العلوم الإنسانية بعضها في بعض، لكن المتأمل في هذا المنجز البحثي والعلمي يعتوره كثير من النقص نتيجة ما تواجهه الدراسات البينية من التحديات على مستويات مختلفة، تحول دون توسيع دائرة العناية بها، والاعتماد عليها في البحوث الأكاديمية. من تلك التحديات تجابه

الدراسات البينية على مستوى أعضاء هيئة التدريس والباحثين:

- "إن أكبر تحد هو الخوف من فقدان الهوية البحثية للتخصص المنفرد، ووقوع المسؤولية الكبرى عليه أثناء إجراء البحوث البينية"^(٢).

(١) الدراسات البينية وإشكالية المصطلح العابر للتخصصات، آمنة بلّعلّ، مجلة سياقات

الصادرة عن مخبر تحليل الخطاب - جامعة تيزي وزو - الجزائر، ٣٠ / ٤ / ٢٠١٧.

(٢) اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو الدراسات البينية في كلية التربية بجامعة السلطان

- غياب منهج الدراسات البيئية عن خريط برامج الدراسات العليا، وضعف مصادرها المعرفية لدى الباحثين.
- انخفاض المستوى المعرفي عند بعض الأكاديميين، وانحصارهم داخل تخصصاتهم العلمية، ذلك أن البناء التكويني للأستاذ الجامعي في جل الجامعات العربية لم يراع فيه إكسابه قدرة علمية زائدة تفتح آفاقا معرفية خارج نطاق التخصص الدقيق الذي يعكف في محرابه، ومن ثم أمسى من الصعوبة أن تجد أستاذا جامعيًا ماهرا في فنين أو علمين مختلفين أو متقاربين إلى الدرجة التي يمكنه بها أن يوظفها في أبحاثه العلمية.
- عدم إطلاع كثير من طلاب الدراسات العليا على ما وصلت إليه الدراسات البيئية في تخصصه من تطور، سواء ما أنجزها عالم واحد أو أكثر.
- التراجع الملحوظ في الدور البحثي والعلمي للقاءات العلمية (سمنار) واقتصارها على عرض مشروعات الخطط البحثية.
- غياب لغة الحوارات والمناقشات العلمية داخل الأقسام العلمية والكليات، في ظل سيطرة بعض الأصوات ذات الصفة في المناخ الفكر والأكاديمي العام في تلك الأقسام.
- عزوف الكثير من الباحثين عن المشاركة في البحوث البيئية لصعوبتها، وما يمكن أن تستغرق من أوقات ربما تنعكس عليهم سلبا فيما يتعلق بمستحققاتهم المادية.
- افتقار كثير من الباحثين من الاطلاع على المكتبات الالكترونية العالمية والمراكز البحثية عبر منصاتها المدفوعة، كما أن غالبية الجامعات العربية لا توفر لمنتسبيها تلك الخدمة الخطيرة؛ مما يؤثر سلبا على إدراكهم للواقع العلمي والبحثي من حولهم^(١).

(١) ينظر: معوقات تفعيل الدراسات البيئية في العلوم الاجتماعية. محمد سيد بيومي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مج ٧، ع ٣ (٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٦)، ص ١٣٤.

- كما يرى البعض من أعضاء هيئة التدريس الجدد في ميدان الدراسات البينية يفتقرون إلى الاهتمام والخبرة في ممارسة البحوث البينية. ويعتبر البعض المناهج البينية مضيعة للوقت وتحتاج إلى عمل جماعي تعاوني لإنشائها^(١).

ومن التحديات التي تجابه الدراسات البينية على مستوى المؤسسات العلمية

والجامعة والمراكز البحثية. فمن أهمها ما يأتي:

- "عدم تحول التداخل، أي الدراسات البينية، إلى مساحات تحظى بالتشجيع والدعم الأكاديمي والعلمي على النحو الذي يكسر حدة العزلة التخصصية للعلوم الإنسانية فيحدث نوعاً من السيولة التي تدمج المعرفة ومناهجها ومصطلحاتها. فليس ثمة مختبرات أو وحدات أو كراسي تدعم هذه التوجهات، وإن وجدت فهي ضئيلة الحجم متواضعة الحضور"^(٢).

- ضعف التواصل بين الجامعة والمراكز البحثية ومؤسسات المجتمع.
- ضعف تسويق الجامعة ومراكز البحث العلمي بها لنتائج البحوث.
- ضعف الترابط بين مراكز البحث العلمي ووحداته داخل الجامعة.
- اتباع أسلوب التكتلات في مواجهة المشكلات داخل الأقسام والكليات والجامعة، وما يتولد عنها من صراعات بين الباحثين، والأقسام العلمية.
- غياب الحوارات والفعاليات العلمية داخل الأقسام والكليات والجامعة وإن وجدت فهي شكلية لا سيما ما يتصل منها بالموافقات المتعلقة بإجراء الدراسات البينية^(٣).

(١) ينظر: الدراسات البينية رؤية لتطوير التعليم الجامعي. عمارة عبد المنعم أمين، جامعة

الملك عبد العزيز، جدة، ٢٠٢٤، ص ٥

(٢) الدراسات البينية وتحدي الابتكار. سعد البازعي، ص ٢٢٤.

(٣) ينظر: معوقات تفعيل الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية. ص ١٣٧.

مقترحات وتوصيات لتعزيز دور الدراسات البيئية.

- إنشاء مراكز بحثية متخصصة لتطوير الدراسات البيئية في اللغة العربية وآدابها داخل الجامعات.
- تصميم برامج للدراسات العليا تجمع بين اللغة العربية وتخصصات إنسانية أخرى كعلم الاجتماع، التكنولوجيا، والفلسفة، سواء على مستوى المساقات، أو البحوث الصفية، أو الأسئلة البحثية.
- تشجيع التعاون البحثي بين أقسام اللغة العربية وأقسام التخصصات الأخرى داخل الجامعات بإقامة شراكات علمية فاعلة من أقسام وجامعات مناظرة.
- توظيف التكنولوجيا في تحليل النصوص ومعالجة القضايا البحثية وفي مقدمتها استخدام الذكاء الاصطناعي والأدوات الرقمية.
- تنظيم مؤتمرات وإقامة ورش عمل تُناقش تطبيق الدراسات البيئية في مجال اللغة العربية وآدابها.
- تعزيز الوعي النقدي لدى طلبة الدراسات العليا بأهمية المقاربات البيئية التي تربط بين اللغة العربية والعلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفية.
- تشجيع الأبحاث المشتركة ذات الطابع البيئي (كاللغة العربية مع الإعلام، الأدب مع الفلسفة، اللسانيات مع الذكاء الاصطناعي)، لتعميق قدرة الطالب على التحليل المركب والشامل للنصوص والظواهر الثقافية.
- دعم المهارات البحثية الحديثة لطلاب الدراسات العليا بتدريبهم على استخدام أدوات رقمية وتقنيات بحث بيئية مثل تحليل الخطاب المتعدد الوسائط، البحث السيميائي السردى، أو الدراسات الثقافية النقدية، بما يواكب الاتجاهات البحثية العالمية.
- تشجيع الربط بين التراث العربي والدراسات الحديثة.
- إطلاق جوائز بحثية سنوية لأفضل الرسائل والأطروحات البيئية في اللغة والأدب، تشجيعاً على الابتكار المعرفي وتعميق ثقافة الدراسات البيئية.

مراجع الدراسة

- اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو الدراسات البينية في كلية التربية بجامعة السلطان قابوس. وجيه ثابت العاني، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس، مج ٢، ع ٣، ٢٠١٦.
- تأملات في مميزات الدراسات البينية ومقترحات لتشجيعها في التعليم الأكاديمي، رافائيل بيريث إي بيريث، ترجمة: سهام صائب. ٢٠٢٠م
- التخصصات البينية والتخصصية في العلوم الإنسانية، د. محمد حسن عصفور، مجلة جامعة الملك سعود، م ٢٥، الآداب (٢)، الرياض، ٢٠١٣ م / ١٤٣٤ هـ.
- الدراسات البينية رؤية لتطوير التعليم الجامعي. عمارة عبد المنعم أمين، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ٢٠٢٤.
- الدراسات البينية وإشكالية المصطلح العابر للتخصصات، آمنة بلّعلي، مجلة سياقات الصادرة عن مخبر تحليل الخطاب - جامعة تيزي وزو - الجزائر، ٢٠١٧ / ٤ / ٣٠.
- الدراسات البينية وتحديات الابتكار. سعد عبد الرحمن البازعي، مجلة جامعة الملك سعود، م ٢٥، الآداب (٢)، الرياض (٢٠١٣ م / ١٤٣٤ هـ).
- الدراسات المستقبلية: مفاهيم - أساليب - تطبيقات. زاهر، ضياء الدين، تقديم: السيد يسين، القاهرة: مركز الكتاب للنشر ٢٠٠٤.
- دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات، نور الدين بنخود، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية. د.ت.
- ١ العلوم الإنسانية واجتياز الحدود: قراءة في خطاب المفاهيم، عبد الغني بارة، مجلة جامعة الملك سعود، م ٢٥، الآداب (٢)، الرياض، ٢٠١٣ م / ١٤٣٤ هـ.

- معوقات تفعيل الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية. محمد سيد بيومي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مج ٧، ع ٣١ (٢٠١٦). ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٦.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ضبط: خليل شحادة، ومراجعة سهل زكار، دار الفكر، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- ١ Delattre, Pierre (١٩٩٥), « Recherches interdisciplinaires », in: Encyclopédia Univesalis, vol.v, ١٩٩٥, p ٤٣٣ – ٤٣٨.